المحبة والصداقة في ضوء الكتاب والسنة

إعداد

فايز الحليفي

مصدر هذه المادة :





إهداء

إلى حبيبي في الله، وأعز أصدقائي، وزميلي في الدراسة، الذي ودعني بعد نهاية الثانوية بأشهر، وهو لم يتجاوز الثانية والعشرين من عمره.

أسأل الله أن يجمعنا به في دار جناته.. إلى صديقي (مخلد عويض الحليفي)، رحمه الله رحمة واسعة.

صديقك المخلص

فائز الحليفي

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده سبحانه ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضِلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلوات الله عليه، وعلى آله وصحبه، وسلِّم تسليمًا.

أما بعد:

إخوتي في الله، أيها المتحابون والمتآلفون في رضا الرحمن، أُقدِّم بين أيديكم هذا الكتاب كهدية إلى كل من أحببت في الله، وليعلم الأحبة في الله أن المحبة ليست مقتصرة على أناس دون آخرين، أو أنها لا تكون إلا لضعاف الأنفس كما يظن البعض، بل نرد عليهم بقوله -تعالى-: ﴿**وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ**﴾ [آل عمران: ١٤٦].

فأثبت المحبة لنفسه، فالله يحب من فعل ما أمر به من واجب أو مستحب- ويحب كل خير ويكره كل شر، والله -سبحانه وتعالى- أوجد في قلب الإنسان الحب؛ من حب الجمال، والمال، وكل ما فيه لذة لنفسه.

وبالمحبة وللمحبة وُجِدت السموات والأرض، وعليها فُطِرت المخلوقات، وبالمحبة تقوى الصداقة بين الأصحاب، والإنسان مهما قال أو ادَّعى أنه لا يحب فإننا نرفض دعواه، ونقول: إن الحب

فطري في نفسك، ومن المستحيلات أن يعيش الإنسان بلا حبيب، هذا وأسأل الله أن يؤلف بين قلوب المسلمين، وأن يجمعهم على طاعته ورضوانه ومحبته.

كما أسأله بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، أن يجعل عملي هذا خالصًا لوجهه الكريم، إنه سبحانه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلي الله على سيدنا محمد،،،

محبكم المؤلف

القويسم ١٤١٦/٢/١٦هـ

١٩٩٥/٧/١٤م

تعريف المحبة

المحبة مأخوذة من حب مصدره حبَّ وحُببَ، وجمع الحبُّ؛ أحباب وحبَّان وحَبَبَه.

وهي: ميل قلب الإنسان إلى ما يناسبه، ويستلذ به من أمور الدنيا.

مراتب المحبة: للمحبة مراتب تتدرج حسب حب الإنسان للشيء في قلبه.

وأول هذه المراتب:

العلاقة: لأن القلب يتعلق بالمحبوب وينشغل به، ثم الصبابة، ثم الغرام، ثم العشق، وآخرها التتيم.

أسماء المحبة

للمحبة أسماء كثيرة وسأذكر هنا خمسون اسمًا:

وهي: المحبة، والعَلاقة، والهوى، والصبوة، والصبابة، والشغف، والمِقَة، والوجد، والكلَف، والتَّتَيُّم، والعشق، والجوى، والدَّنَف، والشجو، والشوق، والخِلابة، والبلابل، والتَّباريح، والسَّدَم، والغمرات، والوهل، والشجن، واللاعج، والاكتئاب، والوصب، والحزن، والكمد، واللذع، والحُرق، والسُّهد، والأرق، واللهف، والحنين، والاستكانة، والتَّبالة، واللوعة، والفتون، والجنون، واللَّمم، والخبل، والرسيس، والداء المخامر، والود، والخلة، والحِلم، والغرام،

والهُيام، والتدليه، والوله، والتعبد.

أنواع المحبة

المحبة تختلف من إنسان لآخر، حسب ما يميل إليه قلبه ويتعلق به؛ ومن هنا نجد أن هناك أنواع للمحبة لا بد على المسلم من معرفتها، لأن جهلها أو تجاهلها ربما أوقع صاحبها في الشرك، عياذاً بالله من ذلك.

وهي ثلاثة أنواع:

النوع الأول: محبة الله وما يحب الله، وبغض ما يبغضه، على الأساس من الإخلاص لله -تعالى-، وهذا واجب بالأدلة قال -تعالى-: ﴿**قُلْ إِنْ كَانَ آَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ** *﴾ [التوبة: ٢٤].

وتشير الآية إلى أن تقديم محبة الثمانية الأصناف التي ذكرت فيها منافٍ للعقيدة، وأن محبة الله يجب أن تقدم عليها.

إذ أن محبة الله دليل على سلامة الفطرة وصفاء النفس، كما أنها سبب في محبة الله -تعالى- لمن يحبه: قال -تعالى-: ﴿**يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ**﴾ [المائدة: ٥٤]، كما أن محبة الله موصِّلة إلى حلاوة الإيمان، قال الرسول ﷺ: «**ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان؛**

أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار»[1].

النوع الثاني: محبة محرمة، تصل بصاحبها إلى الشرك الأكبر، وهي تسوية حب المخلوقات بمحبة الله -تعالى-، وقد توعد الله من ساوى حبه بحب المخلوقات بالعذاب الشديد، وبيَّن أن المؤمن يكون حبه لله أعظم مما سواه.

قال -تعالى-: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ**﴾ [البقرة: ١٦٥].

فهذا حال من اتخذ من دون الله ندًا؛ وهو الصنم، وساوى محبته بمحبة الله.

النوع الثالث: محبة مباحة، وهي فطرية في الإنسان؛ مثل حبه لبلده وحبه للنساء والولد والذهب والفضة ونحو ذلك. قال -تعالى-: ﴿**زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ**﴾ [آل عمران: ١٤]، ولكن هذه المحبة إذا عظمت في القلب، وساواها أو فضلها على حب الله كانت محبة شركية محرمة.

(١) رواه البخاري ومسلم والنسائي وابن ماجة وأحمد.

الأمور التي تكون سببًا في حب الله لعبده

أولا: اتباع الرسول ﷺ:

واتباع الرسول ﷺ شرطًا لمحبة الله –سبحانه وتعالى– لعبده، قال –تعالى–: ﴿**قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ [آل عمران: ٣١]، فلا يكون محبًا لله إلا من اتبع الرسول ﷺ؛ لأنه لا يأمر إلا بما يحب الله، ولا ينهى إلا عن ما يبغض الله، ولا يفعل إلا ما يحبه الله، ولا يخبر إلا بما يحبه الله، وفيه خير لهذه الأمة.

فوجب على الإنسان محبة الأنبياء جميعًا وأولياء الله؛ لأن محبة محبوب المحبوب من تمام محبة المحبوب. وعلى المسلم تصديق الرسول ﷺ فيما أخبر، ويطيعه فيما أمر، ويقتدي به فيما فعل. ومحبته ﷺ من كمال الإيمان، عن أنس –رضي الله عنه– قال: قال الرسول ﷺ: «**والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين**»[١]؛ يوضح لنا –عليه الصلاة والسلام– أن محبته واجبة، وأن من لم يحبه ناقص الإيمان. وقد ذكر الله –تعالى– أن محبته لا تكون إلا باتباع الرسول –عليه الصلاة والسلام–، قال –تعالى–: ﴿**قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ [آل عمران: ٣١].

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

ثانيًا: محبة لقاء الله:

ومن أحب أن يلقى الله -سبحانه- أحبه الله وأحب لقاءه، قال ﷺ: «**قال الله تعالى: إذا أحب عبدي لقائي أحببت لقاءه، وإذا كره لقائي كرهت لقاءه**»[١].

ثالثًا: محبة أصحاب الرسول ﷺ:

تجب محبتهم والاقتداء بهم، قال ﷺ: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي؛ عضو عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة**».

ونحبهم لأمور:

أولا: لأنهم أحبوا الله وأحبوا رسول الله -عليه الصلاة والسلام- وناصروه، وبذلوا أرواحهم في نشر هذا الدين.

ثانيا: لمكانتهم عند الرسول ﷺ حين قال في الحديث الذي رواه أبو سعيد الخدري -رضي الله عنه-، قال: «**لا تسبوا أصحابي؛ فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما بلغ مُد أحدهم ولا نصيفه**»[٢].

رابعًا: محبة الأنصار:

محبتهم واجبة، وهي من كمال الإيمان، وقد ورد في وجوب محبتهم وعدم بغضهم أحاديث كثيرة منها: قوله ﷺ: «**آية الإيمان**

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) صحيح البخاري ومسلم.

حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار»، وقوله ﷺ: «**الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق، فمن أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله»**.

خامسًا: محبة أهل بيت الرسول ﷺ:

وأهل البيت هم: آل عليٍّ، وآل جعفر، وآل عقيل، وآل العباس. فتجب محبتهم لأن محبتهم من محبة الرسول ﷺ، وما يحب الرسول -عليه الصلاة والسلام- يجب أن نحبه. ووجوب محبتهم وارد في الأحاديث ومنها: قوله ﷺ للعباس: «**والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبكم لله ورسوله، ومن آذى عمي فقد آذاني وإنما عم الرجل صنو أبيه»**.

سادسًا: الإيمان والعمل الصالح:

هما سببان في محبة الله تعالى لعباده الصالحين، فإذا أحب الله عبده، رضي عنه وأرضى عنه الناس، وجعله مقبولا بينهم، قال -تعالى-: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا**﴾ [مريم: ٩٦]؛ والود هو الحب، وقال الرسول ﷺ: «**إذا أحب الله عبدًا نادى جبريلَ: إن الله يحب فلانًا فأحبه، فيحبه جبريل، فينادي جبريل في أهل السماء: إن الله يحب فلانًا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في أهل الأرض»**[1].

---

(1) أخرجه البخاري.

حب الأنصار للمهاجرين

قال -تعالى-: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ *﴾ [الحشر: ٩].

فهم من كرمهم وطيب أنفسهم يحبون المهاجرين، ولا يحسدونهم، ويؤثرونهم على أنفسهم، ولو كان لهم حاجة لذلك.

بعض السمات التي يحبها الله في الإنسان

الجهاد:

فالله سبحانه وتعالى يحب المجاهدين المقاتلين في سبيله، الذين بذلوا أرواحهم وأموالهم من أجل إعلاء كلمته -سبحانه-، قال -تعالى-: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤].

الصبر:

وهو الصبر على طاعة الله، وترك المحرمات، وتحمل الأذى في سبيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال -تعالى-: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

الإحسان:

بذل الأموال في وجوه الخير، والإحسان للفقراء والمساكين،

والإنفاق في سبيل الله، وكل ما فيه نفع للإسلام والمسلمين، فإنه يقربنا إلى محبة الله -تعالى- لنا، وقد أمر به وبيَّن أنه يحب أهله؛ قال -تعالى-: ﴿**وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [البقرة: ١٩٥].

القسط:

وهو العدل بين الناس بالحق، لا يظلم أحدًا أبدًا، قال -تعالى-: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾ [الممتحنة: ٨]، كما أن القسط سبب للتقوى ومقرب إليها، قال -تعالى-: ﴿**اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى**﴾ [المائدة: ٨].

التوكل على الله:

وذلك في جميع الأمور، قال -تعالى-: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ**﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وقد قرن سبحانه التوكل بالعبادة في قوله -تعالى-: ﴿**فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ**﴾ [هود: ١٢٣]، كما أمر به -عز وجل- في قوله -تعالى-: ﴿**وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ**﴾ [الفرقان: ٥٨].

العفو ولين الجانب:

قال -تعالى-: ﴿**وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ**﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وقال -تعالى-: ﴿**وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ**﴾ [النور: ٢٢]؛ فجعل العفو عمن أساء إليك والصفح عنه سبب في الغفران، ولذلك قال الصِدِّيق -رضي الله عنه-: "بلى والله إنا نحب أن تغفر لنا يا ربنا".

إتقان العمل:

أيًّا كان نوعه؛ سواء كنت نجارًا أو حدادًا فعليك إتقان عملك؛ لأن الله قد أتقن صنع الكون، ويحب من أتقن، قال -تعالى-: **﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾** [النمل: ٨٨]، وقال الرسول ﷺ: «**إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يقتنه**»[١].

التوبة:

وهي الإقلاع عن الذنوب والمعاصي، كبيرها وصغيرها، فهذا مما يحبه الله في الإنسان، قال -تعالى-: **﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾** [البقرة: ٢٢٢].

الطهارة:

في البدن والملبس وكل ما يحتاجه الإنسان، كما أنها لا تقتصر على ذلك، بل تتعدى إلى الطهارة في العقيدة؛ بأن تكون خالصة لله -تعالى-، سليمة من المعتقدات الفاسدة قال -تعالى-: **﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾** [التوبة: ١٠٨].

التقوى:

وهي أن تجعل بينك وبين عذاب الله وقاية، وهي سبب في العلم، قال -تعالى-: **﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾** [البقرة: ٢٨٢]، وقد وعد الله المتقين بالجنة في قوله -تعالى-: **﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي**

---

(١) رواه أبو يعلى.

جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الحجر: ٤٥]. وأكد على هذا كله محبته لهم، بقوله -تعالى-: **﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾** [آل عمران: ٧٦].

الأمر بالمعروف:

وهذه الصفة سبب في أفضلية هذه الأمة؛ قال -تعالى-: **﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾** [آل عمران: ١١٠]، وقال الرسول ﷺ: «**من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان**»(١)، وقد وعظ لقمان ابنه، قال -تعالى- مخبرًا عنه: **﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾** [لقمان: ١٧]، وقد ورد في الحديث حب أهل المعروف، بقوله ﷺ: «**إن أحب عباد الله إلى الله من حبب إليه المعروف وحبب إليه فعله**».

الحب في الله:

قال الرسول ﷺ فيما يرويه عن ربه: «**قال الله تعالى: حقت محبتي للمتحابين فيَّ**»(٢).

حسن الخلق:

فالإسلام دعا إلى حسن الخلق، وبيَّن أن أكمل المؤمنين إيمانًا أصحاب الأخلاق الحسنة، قال الرسول ﷺ: «**أكمل المؤمنين إيمانًا**

---

(١) رواه مسلم.
(٢) أخرجه أحمد.

أحسنهم خلقًا»[1]، وأمر الله بمحاسن الأخلاق فقال: ﴿**ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ**﴾ [فصلت: ٣٤]،وبين الرسول ﷺ فضل حسن الخلق في أحديث كثيرة منها: «**البر حسن الخلق**»[2]،وقال عليه الصلاة والسلام: «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**»[3].

وحسن الخلق من السمات المحببة إلى الله -تعالى-، قال الرسول ﷺ: «**إن من أحبكم إليَّ وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا**»[4]،فكل ما يحب الرسول ﷺ ويدعو إليه هو من تمام محبة الله ورضاه.

بعض السمات التي يكرهها الله في الإنسان:

وبعد التحدث عن بعض السمات المحببة إلى الله، سأذكر بعض السمات التي هي موجودة في أصناف من الناس، وهي مكروهة أو محرمة عند الله -سبحانه وتعالى-، فإلى ذلك..

الجهر بالسوء:

وهو الدعاء من المظلوم على الظالم، وفضيحة سرائره، وبيان ما خفي عن الناس منه، فهذا العمل مبغوض إلا من كان محقًا، قال -تعالى-: ﴿**لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ**﴾

---

(١) رواه أحمد وأبو داود.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه البخاري في الأدب المفرد.

(٤) رواه البخاري.

[النساء: ١٤٨].

الكفر:

وهو الإشراك بالله، وأن تعبد من دون الله ندًا. ومن فعل ذلك فإن الله قد توعده بالعذاب الشديد، وحرَّم عليه الجنة، قال -تعالى-: ﴿**إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ**﴾ [المائدة: ٧٢]، ونفي عنه المحبة، قال -تعالى-: ﴿**إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ**﴾ [الروم: ٤٥]، وقال -سبحانه-: ﴿**فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ**﴾ [آل عمران: ٣٢].

الظلم:

ومنه ظُلم النفس وأظلمه الإشراك بالله، وهو أعظم أنواع الظلم،قال -تعالى-: ﴿**إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾ [لقمان: ١٣]، وهو مبغوض عند الله، قال -تعالى-: ﴿**وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ**﴾ [آل عمران: ١٤٠]، وقال -سبحانه-: ﴿**إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ**﴾ [الشورى: ٤٠].

الفساد في الأرض:

سواء كان الفساد في الأرواح أو الممتلكات؛ بأن يعبث في كل ما هو نافع للناس؛ من ماء وحرث وزرع، التي لا يعيش الإنسان بدونها، فإن الله لا يحب من عمل ذلك. قال -تعالى-: ﴿**وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ**﴾ [المائدة: ٦٤]، وقال -سبحانه-: ﴿**وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ**﴾ [البقرة: ٢٠٥]، وقال: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ**﴾ [القصص: ٧٧].

الاعتداء:

ويدخل في ذلك ارتكاب المناهي؛ من الغلول، وقتل النساء والصبيان والشيوخ، وإحراق الأشجار، ونحو ذلك، قال -تعالى-: **﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾** [البقرة: ١٩٠].

الإثم:

قال -تعالى-: **﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾** [البقرة: ٢٧٦]؛ أي كفور القلب، أثيم القول والفعل، ظلوم آثم يأكل أموال الناس بالباطل.

الخيانة:

والخيانة لا تقتصر على خيانة الأصحاب أو الخيانة في أي عمل من الأعمال، بل هي أكبر من ذلك. ومن أنواعها خيانة الله ورسوله والمؤمنين، وهذا النوع أبغض الأنواع إلى الله. قال -تعالى-: **﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾** [النساء: ١٠٧]، وقال -عزَّ مِن قائل-: **﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾** [الأنفال: ٥٨]. كما يدخل في الخيانة عدم الوفاء بالعهود والمواثيق، قال -تعالى-: **﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾** [الحج: ٣٨]؛ والكفر هو الجحود للنعم فلا يعترف بها.

الفخر والتكبر:

قال -تعالى-: **﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالاً فَخُورًا﴾** [النساء: ٣٦]؛ يعني أنه بعدما أعطاه من نعم فهو لا يشكر الله -

تعالى- عليها، ويتفاخر على الناس بما أعطاه الله، وهو بهذا قليل الشكر لله، معجب بنفسه فخورًا على غيره، وقد نفى الله تعالى المحبة عمن اتصف بهذه الصفة؛ بقوله -تعالى-: ﴿**إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ**﴾ [النحل: ٢٣]، وبقوله -عز وجل-: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ**﴾ [لقمان: ١٨].

الإسراف:

ومنه الإسراف في المأكل والمشرب والملبس، فإذا تعدى الحد أصبح محرمًا؛ لأن الله نهى عن ذلك بقوله: ﴿**وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ**﴾ [الأعراف: ٣١]. ومنه الإسراف في الذنوب والمعاصي، فإن العبد إذا أسرف على نفسه وتاب فإن الله يتوب عليه، فلا يقنط من رحمة الله من تاب توبة صادقة، وإن عظمت ذنوبه وكثرت، فإن باب الرحمة والتوبة واسع. قال -تعالى-: ﴿**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾ [الزمر: ٥٣].

الفرح بما لديه من أموال:

قال -تعالى-: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ**﴾ [القصص: ٧٦]؛ أي الذين يتكبرون على الناس بالمال، ولا يشكرون الله على ما أعطاهم من رزق. فمن كانت هذه حاله فليعلم أن الله سوف ينتقم منه.

أنواع المحبة في نفس الإنسان

الحب في النفوس يختلف من إنسان لآخر؛ فتجد عباد الله المتقين يحبون الآخرة وما قرب إليها من قول أو عمل، ويفضلون ذلك على حب الدنيا وما فيها من نعيم زائل، ومع هذا تجدهم يأخذون من الدنيا ما فيه نفع لهم، ولا ينبذونها خلف أظهرهم وينقطعون للعبادة فقط، وبهذا يكونون عالة على المجتمع، قال -تعالى-: **﴿وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾** [القصص: ٧٧]، بينما هناك آخرون يحبون التفاخر والخيلاء والتكبّر، وهؤلاء فعلهم هذا مذموم شرعًا.

فإلى بعض هذه الأنواع:

النوع الأول: حب نصرة دين الله.

قال -تعالى-: **﴿وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾** [الصف: ١٣]؛ أي إذا قاتلتم في سبيله أعطاكم ما تحبون وهو نصركم على أعدائكم، وقال -سبحانه-: **﴿حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ﴾** [آل عمران: ١٥٢]؛ والذي يحبونه هنا هو نصرة دين الله على الشرك.

النوع الثاني: حب الإيمان.

قال -تعالى-: **﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾** [الحجرات: ٧]؛ والمعنى أنه حببه إلى النفوس، وزينه في القلوب.

النوع الثالث: حب الطهارة.

قال -تعالى-: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا﴾ [التوبة: ١٠٨]؛ ويعني بالطهارة هنا كلا النوعين؛ الحسية مثل طهارة الملبس ونحوه، والمعنوية كالطهارة من الذنوب والمعاصي.

النوع الرابع: حب المال.

قال -تعالى-: ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [الفجر: ٢٠]، وقال -سبحانه-: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات: ٨]؛ والخير هو المال. وحب المال تارة يكون للفخر والخيلاء، والتكبر على الضعفاء والجبر على الفقراء، فهذا مذموم شرعًا. وتارة يكون للنفقة في القربات ووجوه البر وصلة الأرحام، وهذا محمود شرعًا.

النوع الخامس: حب الدنيا.

قال -تعالى-: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ [القيامة: ٢٠]، وقال -سبحانه-: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلاً﴾ [الإنسان: ٢٧]؛ والعاجلة هي الدنيا، فهم منشغلون بها عن الآخرة.

النوع السادس: حب الشهوات.

أخبرنا سبحانه أنه زين للناس أنواع الملاذ؛ من نساء وبنين ومال وخيل وأنعام وحرث، وكل ما فيه فتنة للناس في هذه الدنيا الفانية، وأوضح أن هذا متاع الحياة الدنيا، وما عند الله خير وأبقى. قال -تعالى-: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ [آل عمران: ١٤].

النوع السابع: حب المدح بما لم يفعل.

قال -تعالى-: ﴿**لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ [آل عمران: ١٨٨]؛وهؤلاء هم الذين يدَّعون أنهم فعلوا كذا، ليحمدهم الناس، وهم كاذبون.

النوع الثامن: حب الجمال.

وأعني الحب الأعمى الذي ربما أوقع صاحبه في المعصية.قال -تعالى-: ﴿**قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا**﴾ [يوسف: ٣٠]؛ وهذا ما حصل لامرأة عزيز مصر، حينما شغفها حب يوسف -عليه السلام- فراودته عن نفسه، ولكنه امتنع من ذلك؛ خوفًا من الله ورجاء ثوابه.

النوع التاسع: حب السجن على المعصية.

قال -تعالى-: ﴿**قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ**﴾ [يوسف: ٣٣]؛ أي الفاحشة، وذلك أن يوسف -عليه السلام- عصمه الله، فامتنع منها واختار السجن على ذلك.

النوع العاشر: حب فضيحة عورات الناس.

قال -تعالى-: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ**﴾ [النور: ١٩]؛ فهؤلاء الصنف من الناس، والذين يحبون نشر الكلام السيء في المجالس وبين العامة، قد توعدهم الله بعذاب أليم.

الحب ليس سببًا في هداية من تحب

قال -تعالى-: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦]؛ أي يا محمد، إنك لن تستطيع هداية من أحببت وهو عمه أبو طالب. فالإنسان مهما كانت قرابته منك، ومحبته عظيمة في قلبك فإنك لن تستطيع أن تُسيِّرَهُ كما تحب وتريد، لأن ذلك بمشيئة الله.

الإنفاق مما نحب سبب في دخول الجنة

قال -تعالى-: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢].

الحب في الله

اعلم أخا الإسلام أن الحب في الله والبغض في الله باب عظيم من أبواب الخير، وهو سبب في تذوق حلاوة الإيمان في الدنيا، فلا يظن البعض أن هذا الحب متعلق بالقلوب ولا أحد يستطيع التحكم فيه، فإن من المعلوم أن القلب تابع للفطرة التي هي دين الله الحق، فنجد من وُلِد وسَلِم من المؤثرات الخارجية ـــ والتي ربما تصرفه عن دينه؛ كأن يكون أبواه غير مسلمين ـــ نشأ وهو مؤمن بالله ربًا، ومحمدًا ﷺ نبيًا ورسولا، وبالإسلام دينًا، ونشأ وهو يحب من أحب الله ورسوله، ويبغض من أبغض الله ورسوله ﷺ.

وكل محبة في هذه الدنيا زائلة، ومنقلبة إلى عداوة، إلا محبة الله ورسوله ﷺ، ومحبة من أحب الله ورسوله ﷺ من الأنبياء والصالحين، فإن محبتهم باقية إلى يوم القيامة؛ ذلك اليوم الذي يتخاصم فيه كل الأخلاء الذين كانت محبتهم للدنيا وزينتها، بينما نجد المتحابين في الله على منابر من نور، لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. قال -تعالى-: ﴿**الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ**﴾ [الزخرف: ٦٧]؛ أي كل صداقة وصحابة لغير الله فإنها تنقلب يوم القيامة عداوة، إلا ما كان لله -عز وجل- فإنه دائم بدوامه، وهذا كما قال إبراهيم -عليه السلام- لقوم: ﴿**وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ** *﴾ [العنكبوت: ٢٥]

وروي عن عليٍّ -رضي الله عنه-: ﴿**الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ**﴾؛ قال: خليلان مؤمنان، وخليلان كافران، فتوفي أحد المؤمنين وبُشِّر بالجنة، فذكر خليله فقال: "اللهم إن فلانًا خليلي كان يأمرني بطاعتك وطاعة رسولك، ويأمرني بالخير وينهاني عن الشر، وينبئني أني ملاقيك. اللهم فلا تُضله بعدي حتى تريه مثل ما أريتني، وترضى عنه كما رضيت عني"، فيقال له:"اذهب فلو تعلم ما له عندي لضحكت كثيرًا وبكيت قليلا"، قال: ثم يموت الآخر فتجتمع أرواحهما، فيقال: لِيُثنِ أحدكما على صاحبه، فيقول كل واحد منهما لصاحبه: "نعم الأخ، ونعم الصاحب، ونعم الخليل".

وإذا مات أحد الكافرين وبشر بالنار، ذكر خليله فيقول: "اللهم إن خليلي فلانًا كان يأمرني بمعصيتك ومعصية رسولك، ويأمرني بالشر وينهاني عن الخير، ويخبرني أني غير ملاقيك. اللهم فلا تهده بعدي حتى تريه مثل ما أريتني، وتسخط عليه كما سخطت عليَّ"، قال: فيموت الكافر الآخر فيجمع بين أرواحهما، فيقال: ليثن كل واحد منكما على صاحبه، فيقول كل واحد منهما لصاحبه: "بئس الأخ، وبئس الصاحب، وبئس الخليل"[1].

وقال ابن عباس -رضي الله عنه- ومجاهد، وقتادة: "صارت كل خلة يوم القيامة عداوة إلا المتقين"[2]. ومن هنا يتبين أن الأخلاء في الدنيا يعادي بعضهم بعضًا يوم القيامة، ووجدوا الأمور التي كانوا فيها متحابين وأخلاء سببًا لعذابهم، فصاروا أعداء، وينبع هذا العداء من مكان ودادهم في الحياة الدنيا؛ فهم كانوا في الشر سواء، وفي الضلال أحباء، وفي العداوة للمؤمنين أخلاء.

فاليوم وبعد رؤية العذاب يتلاومون ويكفر بعضهم ببعض، ويلعن بعضهم بعضًا، فيأكل الظالم يده حسرة وندامة على ما كان عليه من خلة فاسدة. قال -تعالى-: ﴿**وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلاً * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولاً**﴾ [الفرقان: ٢٧-٢٩]، ويروح يتحسر

---

(١) رواه ابن أبي حاتم.
(٢) تفسير ابن كثير.

ويمر في صوته متندمًا، لكن ولات حين مناص.

ويستثنى من ذلك المتقون، المتحابون على الخير والتقوى (إلا المتقين)، فهم أخلاء في الدنيا والآخرة، ومودتهم باقية، فقد كانوا يجتمعون على الهدى ويتناصحون على الخير، وعاقبتهم إلى النجاة. قال ﷺ: «**لو أن رجلين تحابا في الله، أحدهما بالمشرق والآخر بالمغرب، لجمع الله بينهما يوم القيامة. يقول: هذا الذي أحببت فيَّ**».

وكذلك نجد أن الصحبة والأخوة في الله لا يقتصر أثرها على الفرد، بل نجدها من العناصر المثبِّتة له على دين الله، فهل هناك نعمة أكبر من نعمة الدين؟

المعنى الإجمالي:

تُبين الآية الكريمة أن الناس صنفين من الأصحاب؛ صنف كالمسك مجالستهم بركة، ومصاحبتهم خير ونعمة، إذا اقتربت من أحدهم وجدت كل ما يسعدك، ويشرح قلبك، ويسير بك إلى خيري الدنيا والآخرة.

وصنف آخر مجالستهم داء ووباء ودمار وبلاء، فهم يفتحون لمن يجالسهم أبواب الشر والفساد، وهم الرفقة السيئة.

فشتَّان بين هذين الصنفين، وفرق شاسع بينهما، وما أحسن ما ضربه لنا الرسول ﷺ مثلا لهذين الصنفين فقال: «**مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحًا**

طيبة. ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحًا خبيثة»[١].

فجليس البركة دائمًا هو خير ونفع لك ومغنم، مثل حامل المسك الذي ينفعك بما عنده، وفي أقل الأحوال إن لم تبتع منه وجدت عنده ريحًا طيبة، فتجلس عنده وأنت مسرور وقرير العين.

بعكس الآخر الذي لا تجد عنده إلا ما به ضرر بك، وهذا خير مثال لهذين الصنفين، والإنسان مطبوع على التقليد والاقتداء بجليسه، وموسوم بسمات من رافقه وجالسه، ونجد النبي ﷺ يقول: **«المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل»**[٢].

يقول القائل:

عن المرء لا تســأل وســل عــن قرينــه
فكـــــل قـــــرين بالمقـــــارن يقتـــــدي

إذا كنـــت في قـــومٍ فصـــاحب خيـــارهم
ولا تصـــحب الأردى فـــتردى مـــع الـــــردي

فانظروا إلى فرعون معه هامان، وانظروا إلى الحجاج معه يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، أشر منه، وانظر إلى سليمان بن عبد الملك، صحبه رجاء بن حَيوة فقوَّمه وسدَّده:

أنـــت في النـــاس تقـــاس بمـــن اختـــرت خلـــيلا
فاصـــحب الأخيـــار تعلـــو وتنـــــل ذكـــرًا جمـــيلا

(١) متفق عليه.
(٢) رواه الترمذي وابن ماجة وأبو داود.

ما يستفاد من الآية

وُصف المتحابون في الله بالمتقين.

إن المحبة باقية دنيا وأخرى.

الإنسان يحشر مع من يحب.

دعاء المتحابين بعضهم لبعض بالخير.

بيان أن المحبة في غير ذات الله زائلة.

وصف الأخلاء في غير ذات الله أنهم أعداء.

بيان تخاصم رفقاء السوء يوم القيامة، وأنه يلعن بعضهم بعضًا.

كيف تدوم المحبة في الله

اعلم أيها الحبيب في الله، أن لتوثيق عُرى المحبة ودوامها أسباب منها:

١- إخبار من أحببته أنك تحبه في الله:

وهذا امتثال لحديث الرسول ﷺ، حين أخبر أن على الإنسان إذا أحب أخًا له في الله أن يُعلِمه بذلك، بقوله ﷺ: «**إذا أحب أحدكم أخاه فليعلمه أنه يحبه**»[١]، ويقول المسلم إذا أخبره أنه يحبه في الله: «**أحبك الذي أحببتني فيه**».

---

(١) أخرجه البخاري في "الأدب المفرد".

٢- إفشاء السلام:

وهي تحية أهل الجنة، وسبب في دخول الجنة كذلك، والسلام يجلب الحب والبشاشة بين المؤمنين، قال ﷺ: «**لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أو لا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم**»(١).

٣- الهديَّة:

فتبادل الهدايا بين الأحباب أمر مطلوب، وله التأثير في ميل القلوب وتآلفها، قال ﷺ: «**تهادوا تحابوا**»(٢).

٤- تبادل الرسائل والزيارات:

فالصديق يرسل لصديقه ويزوره في الله، وبهذا تقوى الصداقة وتزداد محبة كل صديق لصديقه، قال ﷺ: «**زُر غبًا تزدد حبًا**»(٣)، وقال ﷺ: «**إن رجلا زار أخًا له في قرية أخرى فأرصد الله له على مدرجته ملكًا فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أخًا لي في هذه القرية. قال: هل لك عليه من نعمة تربها؟ قال: لا، غير أنني أحببته في الله -عز وجل. قال: فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه**»(٤).

٥- النصح والإرشاد:

---

(١) أخرجه مسلم.
(٢) أخرجه البخاري في "الأدب المفرد".
(٣) صحيح الجامع الصغير.
(٤) أخرجه مسلم.

فهما سببان في دوام المحبة، فلا يرضى من أحب أخاه في الله أن يراه يقع في المعاصي والذنوب دون النصح والإرشاد، وقد أخبرنا ﷺ بقوله: «**الدين النصيحة**»[١].

فضل المتحابين في الله:

وردت أحاديث كثيرة في فضل الحب في الله، وفضل أهله، ومنها قوله ﷺ فيما يرويه عن ربه: «**قال الله عز وجل: المتحابون في جلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء**»[٢]، وقال ﷺ في أي المتحابين في الله أفضل لصاحبه، قال: «**ما تحاب رجلان في الله –تبارك وتعالى– إلا كان أفضلهما أشدهما حبًا لصاحبه**»[٣].

الصداقة الحقيقية

*الصداقة الحقيقية هي التي تبقى بين الصديقين، ولا تزول لأي سبب من الأسباب، وليست صداقة دنيوية؛ بأن يقضي حاجته منك ثم يتركك، بل الصداقة تقوى عندما يحتاج إليك صديقك وقت الشدة، وهذا ما نراه في هذا العصر، أن الصديق يتخلى عن صديقه في الشدة، أما في الرخاء فما أكثرهم:

مـــا أكثـــر الأصـــحاب حـــين تعـــدهم
ولكنـــــــهم في النائبـــــــات قليـــــــل

---

(١) رواه مسلم.
(٢) أخرجه الترمذي.
(٣) أخرجه البخاري في "الأدب المفرد" .

وهؤلاء الأصناف من الأصدقاء هم خائنون لأصحابهم، وما أكثرهم -لا كثرهم الله- وما أكثر أساليب التزييف التي يتقلدونها؛ ليوقعوا من صاحبهم في شباكهم التي لا ترحم أحدًا. فعلى الإنسان أن يختار صاحبه، ولكنه سوف يتعب؛ لأن الصاحب الصالح مثل المعدن الثمين، وقلَّ ما تجده، فربما غشك بائع بمعدن مزيف مُدَّع أنه من المعادن الثمينة.

ومـــن يفـــتش عـــن الإخـــوان يقلـــهمُ
فجُـــل إخـــوان هـــذا العصـــر خـــوَّان

*الصداقة الحقيقية تولِّد المحبة والبشاشة بين الأصدقاء، وتجلب لهم السعادة والطمأنينة، ويكون الصديق مع صديقه متكاتفًا معه، محبًا له، حافظًا له كرامته.

والصداقة تخفف الهموم والأحزان عن الأصدقاء؛ لأن كل واحد منهم يشكو للآخر ما به من هم أو حزن، وبهذا يحاولان حل ذلك، والتعاون مع الأصدقاء في حل مثل هذه الهموم.

*وعلى الإنسان أن يختار صديقه، فهذا أمر ضروري؛ فعليه أن يختار الأصدقاء الصالحين الناصحين، أصحاب الأخلاق الكريمة والمروءة والشهامة.

قال الشاعر:

صـــلاح أمـــرك للأخـــلاق مرجعـــه
فقـــوِّم الـــنفس بـــالأخلاق تســـتقم

مبتعدًا بهذا عن أصحاب الأخلاق الشرسة، وكل من فيه

رذيلة، الذين يضرونه ولا ينفعونه والمرء لصاحبه ينسب.

واختر قرينك واصطفيه تفاخرًا

إن القرين إلى المقارن يُنسب

*ومن علامات الصداقة والتي تكون الصداقة بها في معناها الحقيقي، أن الصديق لا يفشي سر صديقه، ولا يضره. وحفظ السر أمر واجب، وهذا يدل على كرامة الصديق وأنه مخلص حقًا لصديقه، ولكن مع هذا نقول: على الصديق عدم إفشاء أسراره جميعها، بل عليه أن يحتفظ ببعضها وخاصة التي تكون خطرة عليه.

لا تودع السر وشَّاء يبوح به

فما رعى غنما في البدو سرحان

فعليك أيها الصاحب أن تحفظ سر صديقك، ولا تبح به، فهو وثق بك وأعطاك أسراره، فكن عند حسن ظنه، وكن مثل هذا الصديق الذي وصفه الشاعر بقوله:

جليس لي أخو ثقة كأن حديثه خبره

يسرك حسن ظاهره وتحمد منه مختبره

ويستر عيب صاحبه ويستر أنه ستره

ولا تكن مثل العدو؛ ينقلب على جاره ويسلبه ما لديه من ممتلكات وأموال، وذلك بسبب غضبه منه، فانتقم من جاره وصديقه، ولذا نحذر الصديق بأن يحذر من صديقه؛ لأنه يعلم إذا أراد الانتقام أين يضع نابه ومتى يضعه.

وقال الشاعر علي بن عيسى محذرًا من ذلك:

احـــــذر عـــــدوك مـــــرة   واحذر صديقك ألف مـــرة
فلربمـــا انقلـــب الصـــديق   فكـــان أعلـــم بالمضـــرة

*وأهم صفة للصديق أن يكون مفتاحًا للخير مغلاقًا للشر؛ قال ﷺ: «**إن من الناس أناسًا مفاتيح للخير، مغاليق للشر**»[1].

كما أن الصديق يكون مُساندًا لإخوانه في السراء والضراء، يفرح لفرحهم ويحزن لحزنهم، مناصرًا لهم ومسهلاً أمورهم، وأن يدعو لهم بالخير والصلاح؛ قال ﷺ: «**خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه**»[2].

*ومن علامات الصداقة الوفاء بين الأصدقاء، وحسن الصحبة، وعلى كل صديق أن يتحمل ما يأتيه من إساءة من صديقه؛ لأن ذلك عن غير قصد. فالصديق لا يؤذي صديقه، بل يبذل ما يستطيع لإسعاده.

كنـــت إذا صـــحبت خيـــار قـــوم
صـــــحبتهم وشـــــيمتي الوفـــــاء
فأُحسِـــن حـــين يُحســـن محســـنوهم
وأحتمـــــل الإســـــاءة إن أســـــاءوا
وأبصـــــر مـــــا يصـــــيبهمُ بعـــــين
عليهـــــا مـــــن عيـــــوبهم غطـــــاء

---

(1) حديث حسن.
(2) رواه الترمذي.

وعليه كذلك أن يعفو عن زلات صاحبه، فلا يقطعه إذا ارتكب معصية، بل يعظه رجاء أن يتوب فيتوب الله عليه.

وإن أساء مسيء فليكن لك في
عروض زلته صفح وغفران

ومن يعاتب أصحابه كلما رأى منهم خطأ عاش بلا أصحاب، وذلك أن الإنسان مهما بلغ من حسن السيرة والخلق لا بد أن يخطئ، والرسول ﷺ يقول: «**كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون**».

والشاعر يقول:

وكنت إذا الصديق أراد غيظي
وأشرقني على حَنَق بريقي
غفرت ذنوبه وعفوت عنه
مخافة أن أعيش بلا صديق

ويقول بشار:

إذا كنت في كل الأمور معاتبا
صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه
وإن أنت لم تشرب مرارًا على القذى
ظمئت وأي الناس تصفو مشاربه؟
فعش واحدًا أو صِل أخاك فإنه
مقارف ذنب مرة ومجانبه

*والصديق الحق هو الذي يسعى دائمًا أن يثبِّت المحبة في صدر أخيه، ومن أسباب مثبتات المحبة والألفة بين الأصحاب؛ أن تخاطبه بأحب الأسماء إليه، وتبدأه بالسلام، كما قال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-: "ثلاث يثبتن لك الود في صدر أخيك؛ أن تبدأه بالسلام، وتوسع له في المجلس، وتدعوه بأحب الأسماء إليه"، وعلى الصديق أن لا يكلف صاحبه فوق طاقته، ويدَّعي أنه إذا لم يعمل ذلك فليس بصديق، والله -سبحانه وتعالى- يقول: ﴿**لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا**﴾ [البقرة: ٢٨٦]. فعليك الرفق بصديقك ولا تشق عليه:

ورافــق الرفــق في كــل الأمــور فلــن
ينـــدم رفيـــق و لم يذممـــه إنســـان

ويقول الشافعي -رحمه الله- في من كانت هذه صفته:

إذا المـــرء لا يرعـــاك إلا تكلُّفـــا
فدعـــه ولا تُكثِـــر عليـــه التأســـفا
ففـــي النـــاس أبـــدال وفي التـــرك راحـــة
وفي القلـــب صـــبر للحبيـــب ولـــو جفـــا
فمـــا كـــل مـــن تهـــواه يهـــواك قلبـــه
ولا كل مـــن صـــافيته لـــك قـــد صـــفا
إذا لم يكـــن صـــفو الـــوداد طبيعـــة
فـــلا خـــير في وُد يجـــيء تكلفًـــا
ولا خـــير في خِـــلٍ يخـــون خليلـــه
ويلقـــاه مـــن بعـــد المـــودة بالجفـــا

وينكر عيشًا قد تقادم عهده
ويُظهر سرًا كان بالأمس قد خفا
سلام على الدنيا إذا لم يكن بها
صديق صدوق صادق الوعد منصفًا

والصاحب الصالح لا يحب ولا يبغض إلا لله، كما في الحديث قال ﷺ: «**من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان**».

فالصاحب التقي دائمًا محبٌ لله ولرسوله ﷺ ومن والاهما، ومعادٍ من عاداهما، آمرًا بالمعروف ناهيًا عن المنكر، متآلفًا مع من أحب غير متنافر، وفي الحديث عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف**»[1].

فالمؤمنون الصالحون مؤتلفون ومتعاونون، لا تقبل أرواحهم من خالفهم و لم ينهج منهجهم.

ونجد السلف الصالح يوصون بالصحبة الطيبة؛ فيقول أحدهم: "عليك بصحبة أهل الخير، ممن تسلم منه في ظاهرك، وتعينك رؤيته على الخير، ويذكرك الله".

ويقول آخر، موصيًا ابنه لما حضرته الوفاة: "يا بني، إذا أردت صحبة إنسان فاصحب من إذا خدمته صانك، وإذا صحبته زانك،

---

(1) رواه البخاري.

أصحب من إذا مددت يدك للخير مدها، وإن رأى منك حسنة عدها، وإن رأى منك سيئة سدها، اصحب من إذا حاولت أمرًا أعانك ونصرك، وإن تنازعتما في شيء آثرك، فإن يسر الله لك صاحبًا من هذا الطراز فحافظ عليه، وعض عليه بالنواجذ".

وبعد ما ذكرت بعض الأمور التي لا بد أن تتوفر في الصاحب الصالح، سأذكر بعضًا من أصناف الناس الذين يجب على الإنسان الابتعاد عنهم، وهم كثيرون، وسأشير إلى أخطرهم والتحذير من مصاحبته، ومن هؤلاء:

الكذوب:

فالكذوب لا تجد له جليسًا إلا مثله، ولربما أوقع كل منهما بالآخر، والإسلام حذر منه وأمرنا بالابتعاد عنه، فمن الأولى عدم مصاحبته ومجالسته.

ودع الكذوب فلا يكـــن لـــك صـــاحبًا
إن الكـــذوب لبـــئس خِـــلا يصـــحب

اللئيم:

حذار حذار؛ من مصاحبة مثل هذا النوع من الناس، الذي لن تجد منه إلا شرًا، ولن ينفعك أبدًا مهما قال أو فعل، ففر منه فرارك من الأسد.

واحـــذر مصـــاحبة اللئـــيم فإنـــه
يعدي كما يعـــدي الصـــحيحَ الأجـــربُ

الأحمق:

نعم والله أحمق، يريد أن ينفعك فيضرك، يريد إنقاذك فيغرقك، فيا له من أحمق، لا يحسن التصرف ولا القول، فعليك بالابتعاد عنه.

وقد وصفه الشاعر فقال:

اتـــق الأحمـــق أن تصـــحبه ... إنما الأحمق كالثوب الخلـــق

كلما رقعـــت منـــه جانبًـــا ... حركته الريح وهنا فـــانخرق

وإذا جالســـته في مجلـــس ... أفسد المجلس منـــه بـــالخرق

كحمار الســـوء إن أشـــبعته ... رمح الناس، وإن جاع نهـــق!

أو كعبد السوء إن جوعتـــه ... سرق الجار، وإن يشبع فسق!

الصداقة الدائمة هي صداقة التقوى

إن كانت المحبة في الله لا من أجل جاه ولا مال، فإن الله يؤلف بين قلوب المتحابين في جلاله، ويقوي عراهم، وقال ﷺ: «**إن أوثق عرى الإيمان، أن تحب في الله وتبغض في الله**»[1].

فالإنسان بمصاحبته للطيبين يرتفع إلى ما يصبو إليه من مكارم الأخلاق؛ لأن الصاحب الطيب يشجعك على الخير محبًا لك ما يحب لنفسه، لقوله ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»[2]، مذكرك بالله، وناصحك عن المعاصي إذا فكرت فيها، والنصح دائمًا على لسانه، وهذه من علامات الصداقة القوية.

(1) رواه أحمد.
(2) متفق عليه.

قال الحسن البصري -رحمه الله-: "لم يبق من العيش إلا ثلاثة؛ أخ لك تصيب من عشرته خيرًا، فإن زغت عن الطريق قومَّك، وكفاك من عيش ليس لأحد عليك فيه تبعة، وصلاة في جمع تُكفي سهوها وتستوجب أجرها، والنصيحة ضرورية للمؤمن».

وقد أنشد:

أخي لا تلِـــن فلنـــا قـــدوة لمثلـــي ومثلـــك في المـــأزمِ
تقدم فأنت الأبيُّ الشـــجاع ولا تتـــــهيب ولا تحجـــــمِ
عليك بهدي الرسول الكـــريم ومنـــــهاج قرآنـــه المحكـــم
فلا تحجزن عن الكرامـــات ولا تتشـــــاءم ولا تســـــأم
ولا تبتئس من سموم الضـــلال ولا تخش من نهشة الأرقـــم
ولا تك مـــن معشـــر تافـــه يقيس الســـعادة بالـــدرهم

أخا الإسلام، يا من تبحث عن الصاحب الصالح، عليك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ فلن تضِّل إن تمسكت بهما، وابحث عن من يعمل بهما، فهو خير صاحب.

وسأذكر هنا قصة شاب تأثر بنصيحة أحد الصالحين، فأقلع عن ما كان يفكر به؛ يقول راوي القصة: خرجت ذات يوم بسيارتي لقضاء بعض الأعمال، وفي إحدى الطرق الفرعية الهادئة قابلني شاب يركب سيارة صغيرة، لم يرني، لأنه كان مشغولا بملاحقة بعض الفتيات في تلك الطريق الخالية من المارة، كنت مسرعًا فتجاوزته، فلما سرت غير بعيد قلت في نفسي: أأعود فأنصح ذلك الشاب، أم أمضي في طريقي وأدعه يفعل ما يشاء؟!

وبعد صراع داخلي دام عدة ثوان فقط اخترت الأمر الأول، عدت ثانية، فإذا به قد أوقف سيارته وهو ينظر إليهن، ينتظر منهن نظرة أو التفاتة، فدخلن في أحد البيوت، أوقفت سيارتي بجوار سيارته نزلت من سيارتي واتجهت إليه، سلمت عليه أولا، ثم نصحته، فكان مما قلته له: تخيل أن هؤلاء الفتيات أخواتك أو قريباتك فهل ترضى لأحد من الناس أن يلاحقهن أو يؤذيهن؟ كنت أتحدث إليه وأنا أشعر بشيء من الخوف، فقد كان شابًا ضخمًا ممتلئ الجسم، كان يستمع إلي وهو مطرق الرأس، لا ينبس ببنتت شفة، وفجأة التفت إليَّ، فإذا دمعة قد سالت على خده، فاستبشرت خيرًا، وكان ذلك دافعًا لي لمواصلة النصيحة، لقد زال الخوف مِنِّي تمامًا وشددت عليه في الحديث، حتى رأيت أني قد أبلغت النصيحة، ثم ودعته، لكنه استوقفني وطلب مني أن أكتب له رقم هاتفي وعنواني، وأخبرني أنه يعيش فراغًا نفسيًا قاتلا، فكتبت له ما أراد.

وبعد أيام جاءني في البيت، لقد تغير وجهه وتبدلت ملامحه؛ فقد أطلق لحيته وشعَّ نور الإيمان من وجهه. جلست معه، فجعل يحدثني عن تلك الأيام التي قضاها في (التسكع) في الشوارع والطرقات، وإيذاء المسلمين والمسلمات، فأخذت أسلِّيه، وأخبرته بأن الله -سبحانه وتعالى- واسع المغفرة، وتلوت عليه قوله -تعالى-: ﴿**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾ [الزمر: ٥٣]. فانفرجت أسارير وجهه، واستبشر خيرًا، ثم ودَّعني وطلب

مني أن أرُدَّ الزيارة، فهو في حاجة إلى من يعينه على السير في الطريق المستقيم، فوعدته بالزيارة.

مضت الأيام وشغلت ببعض مشاغل الحياة الكثيرة، وجعلت أُسوِّف في زيارته، وبعد عدة أيام، وجدت فرصة وذهبت إليه طرقت الباب، فإذا بشيخ كبير يفتح الباب، وقد ظهرت عليه آثار الحزن والأسى، إنه والده. سألته عن صاحبي، أطرق برأسه إلى الأرض، وصمت برهة، ثم قال بصوت خافت: يرحمه الله ويغفر له، ثم استطرد قائلاً: حقًا، إن الأعمال بالخواتيم.

ثم أخذ يحدثني عن حاله، وكيف أنه كان مفرطًا في جنب الله بعيدًا عن طاعة الله، فمنَّ الله عليه بالهداية قبل موته بأيام، لقد تداركه الله برحمته قبل فوات الأوان، فلما فرغ من حديثه عزيته ومضيت، وقد عاهدت الله أن أبذل النصيحة لكل مسلم[١].

خطر الجليس السوء

سبحان الخالق الذي خلق كل شيء وقدره، فما خلق سبحانه من مخلوق إلا وله ضد، النار وضدها الماء، والحياة وضدها الموت، والسعادة وضدها الشقاء، والفرح وضده البكاء.

ونجِد أن الصالحين وضدهم الطالحين، صحبة طيبة مع الطيبين، وتعاسة مع الخبيثين؛ فقرناء السوء أعظم خطر على حياة الإنسان، وأعظم سبب يؤدي بالمرء إلى الفساد، ويوقعه في الضلال، فعليكم

(١) هذه القصة موجودة في كتاب(العائدون إلى الله) لمحمد المسند.

أن تحذروا رفقاء السوء.

يا شباب الإسلام!

*تجنب من تجده دائمًا طاعنًا في الدين وأهله، مستهزئًا بالصالحين.

*تجنب من لا همَّ له إلا رضا نفسه، واتباع شهواته وأهوائه.

*تجنب من لا هم له إلا السعي في هذه الدنيا، حلالا جَمَعَ أم حرامًا.

*تجنب من لا يبالي بالوقت؛ فيضيع عمره وشبابه ما بين لهو ولعب.

*تجنب من لا يبالي ما ارتكب من ذنوب ومعاصي.

*تجنب من أفكاره وعقيدته فاسدة، يحمل معه أمراضًا فتاكة.

فكم من شخص تحطم وانتكس، وتبلد حسه، ووهنت مشاعره، والسبب الرفقة السيئة.

وكم من إنسان تهدمت حياته وانسلخ من دينه وأخلاقه، كم من إنسان نسي ربه، وعقَّ والديه، وترك أهله وأقربائه، وأخذ ينغمس في ملذات الشهوات، والسبب الرفقة السيئة، كم من شاب تعاطى المسكِرات والمخدرات (أعاذنا الله منها)، وأضاع الصلوات بسبب رفقة السوء، التي أمرنا الله -سبحانه وتعالى- أن نبتعد عنها، ولا نجالسهم ولا ندخل مجالسهم الملوثة بأدران المعاصي والآثام.

قال -تعالى-: ﴿**وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى**

مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨]. بل إن وحدة الإنسان أفضل من جليس السوء ورفيق الشيطان.

قال الشاعر:

وحـــدة الإنســـان خـــير من جلوس الســـوء عنـــده
وجلـــيس الصـــدق خـــير من جلـــوس المـــرء وحـــده

أخي:

رفيق السوء أخطر من السم، وأخطر من أي سلاح فتاك، أنت ترى السلاح فتهرب منه، ولكن رفيق السوء يهرب وراءك ليدمرك بكل ما يستطيع من وسائل، وإليك هذه القصة التي راح ضحيتها شاب بسبب الرفقة السيئة.

نشأتُ في بيت متدين جدًا، في حي من أحياء مدينة الرياض، والدي -رحمه الله- كان شديد التدين، فلم يكن يسمح بدخول شيء من آلات اللهو والفساد في البيت، ومضت الأيام وتجاوزتُ مرحلة الطفولة البريئة، ولما بلغت الرابعة عشر من عمري حدث في حياتي حادث كان سببًا في تعاستي وشقائي فترة من الزمن؛ فقد تعرفت على (شلة) من رفقاء السوء، فكانوا ينتظرون الفرصة المناسبة لإيقاعي في شباكهم، وجاءت الفرصة المناسبة فترة الامتحانات، فجاءوني بحبوب بيضاء منبهة، فكنت أسهر عددًا من الليالي المتواليات في المذاكرة دون أن يغلبني نعاس، أو أشعر بحاجة إلى نوم، وانتهت الامتحانات ونجحت بتفوق!!

وبعد الامتحانات داومت تعاطي هذه الحبوب البيضاء،

فأرهقني السهر، وتعبت تعبًا شديدًا، فجاءني أولئك (الشياطين) وقدموا لي في هذه المرة حبوبًا حمراء (مخدرات)، وقالوا لي: إنها تطرد عني السهر وتجلب لي النوم والراحة، ولم أكن ـــ لصغر سني ـــ أدرك حقيقة هذه اللعبة، وهذا التآمر وهذا المكر الخبيث من هؤلاء الشياطين، شياطين الإنس.

أخذت أتعاطى هذه الحبوب الحمراء يوميًا وبالعشرات، وبقيت على هذه الحال ثلاث سنوات تقريبًا أو أكثر، وفشلت في دراستي، ولم أتمكن من إتمام المرحلة المتوسطة من الدراسة والحصول على الشهادة، فصرت أتنقل من مدرسة إلى مدرسة علِّي أحصل عليها، ولكن دون جدوى، وبعد هذا الفشل الذريع الذي كان سببه هذه الحبوب المشؤومة، فكرت في الانتقال إلى مدينة أخرى، حيث يقيم عمي وأولاده في محاولة أخيرة لإتمام الدراسة.

وفي ليلة من ليالي الشتاء الباردة ـــ وكان والدي قد اشترى سيارة جديدة ـــ أخذت هذه السيارة دون علم والدي، وتوجهت إلى تلك المدينة، وكنت أحمل في جيبي كمية كبيرة من هذه الحبوب الحمراء.

وفي الطريق توقفت عند بعض الأصحاب، وفي تلك الليلة أسرفت في تناول هذه الحبوب حتى أصبحت في وضع يرثى له، وقبيل الفجر، ركبت السيارة وانطلقت في طريقي، وما هي إلا دقائق حتى غبت عن الدنيا، ولم أفق إلا وأنا في المستشفى في حالة سيئة؛ قد كسرت ساقي اليمنى وأصبت بجروح كثيرة، بعد أن

مكثت في غرفة الإنعاش ثمان وأربعين ساعة. فقد كان حادثًا شنيعًا؛ حيث دخلت بسيارتي تحت سيارة نقل كبيرة، ومن رحمة الله بي أن كتب لي الحياة، ومنحني فرصة جديدة لعلِّي أتوب وأقلع عما أنا فيه، ولكن شيئًا من ذلك لم يحدث.

نقلت من المستشفى إلى بيت والدي بالرياض، وفي البيت كنت أتعاطى هذه الحبوب النكدة.

قد تسألني وتقول: كيف تحصل على هذه الحبوب، وأنت على فراش المرض؟!

فأقول: لقد كان أولئك الشياطين يأتون إليَّ في البيت، فيعرضون عليَّ بضاعتهم، فأشتري منهم، على الرغم من حالتي السيئة.

بقيت على هذه الحال أيامًا، حتى أحسست بتحسن بسيط، وكانت فكرة السفر تراودني حتى تلك اللحظة؛ أملاً في إكمال دراستي المتوسطة.

وفي عصر أحد الأيام، وبعد أن تناولت كمية كبيرة من هذه الحبوب، خرجت أتوكأ على عكازي، وأخذت أبحث عن سيارة تنقلني إلى تلك المدينة، حاولت أن أوقف عددًا من السيارات إلا أن أحدًا لم يقف لي، فذهبت إلي موقف سيارات الأجرة واستأجرت سيارة أوصلتني إلى هناك.

وهناك، بادرت بالتسجيل في إحدى المدارس المتوسطة بعد جهود بذلها عمي وغيره في قبولي، وحصلت على شهادة الكفاءة

وكنت أثناء الدراسة مستمرًا على تعاطي المسكرات، إلا أنني تركت المخدرات ووقعت في الشراب (الخمر)، وفي الوقت نفسه كنت أقوم بترويج تلك الحبوب الحمراء، وبيعها بسعر مضاعف، ولم أكن أدرك فداحة هذا الأمر وخطورته، فقد كان همي جمع المال -أسأل الله أن يتوب عليّ-.

ثم بعد ذلك في الحشيش وأدمنته، وكنت أتعطاه عن طريق التدخين، فكنت أذهب إلى المدرسة وأنا في حالة هستيرية، فأرى الناس من حولي كأنهم ذئاب أو حشرات صغيرة، لكني لم أكن أتعرض لأحد، لأن الذي يتعاطى هذا البلاء يكون جبانًا يخاف من كل شيء.

بقيت على هذه الحال سنتين تقريبًا، وكنت آنذاك أسكن بمفردي في بيت يقع في مكان ناء في طرف البلد.

وفي يوم من الأيام جاءني اثنان من شياطين الإنس الذين أعرفهم، وكان أحدهما متزوجًا، فأوقفت سيارتي وركبت معهم، وكان ذلك بعد صلاة العصر، فأخذنا ندور وندور في شوارع البلد، وبعد جولة دامت عدة ساعات، أوقفوني عند سيارتي، فركبتها واتجهت إلى البيت فلم استطع الوصول إليه، فقد كنت في حالة سكر شديد.

ظللت مدة ساعتين أو أكثر أبحث عن البيت فلم أجده!!

وفي نهاية المطاف وبعد جهد جهيد وجدته... فلما رأيته فرحت فرحًا شديدًا، فلما هممت بالنزول من السيارة، أحسست

بألم شديد جدًا في قلبي، وبصعوبة بالغة نزلت ودخلت البيت، وفي تلك اللحظات تذكرت الموت.

نعم، والله أيها الإخوة لقد تذكرت الموت كأنه أمامي يريد أن يهجم عليَّ، ورأيت أشياء عجيبة أعجز عن وصفها الآن، فقمت مسرعًا من غير شعور، ودخلت دورة المياه وتوضأت، وبعد خروجي من الدورة عدت وتوضأت ثانية، ثم أسرعت إلى إحدى الغرف وكبَّرت ودخلت في الصلاة، وأتذكر أني قرأت في الركعة الأولى بالفاتحة و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ *﴾، ولا أتذكر ما قرأته في الركعة الثانية.

المهم أنني أديت تلك الصلاة بسرعة شديدة قبل أن أموت!!

وألقيت بنفسي على الأرض، على جنبي الأيسر، واستسلمت للموت، فتذكرت في تلك اللحظات أنني سمعت أن الميت من الأفضل أن يوضع على جنبه الأيمن، فتحولت إلى الجنب الأيمن، وأنا أحس بأن شيئًا ما يهز كياني هزًا عنيفًا.

ومرت في خاطري صور متلاحقة من سجل حياتي الحافل بالضياع والمجون، وأيقنت أن روحي قد أوشكت على الخروج.

ومرت لحظات كنت انتظر فيها الموت، وفجأة حركت قدمي فتحركت، ففرحت بذلك فرحًا شديدًا، ورأيت بصيصًا من الأمل يُشع من بين تلك الظلمات الحالكة، فقمت مسرعًا وخرجت من البيت وركبت سيارتي وتوجهت إلى بيت عمي.

دفعت الباب ودخلت، فوجدهم مجتمعين يتناولون طعام

العشاء، فألقيت بنفسي بينهم.

قام عمي فزعًا وسألني: ما بك؟!! فقلت له: إن قلبي يؤلمني.

فقام أحد أبناء عمي وأخذني إلى المستشفى، وفي الطريق أخبرته بحالي، وأنني قد أسرفت في تعاطي ذلك البلاء، وطلبت منه أن يذهب بي إلى طبيب يعرفه، فذهب بي إلى مستوصف أهلي، فلما كشف عليَّ الطبيب وجد حالتي في غاية السوء؛ حيث بلغت نسبة الكحول في جسمي ٩٤%، فامتنع عن علاجي، وقال: لا بد من حضور رجال الشرطة، وبعد محاولات مستمرة وإلحاح شديد وإغراءات وافق على علاجي، فقاموا بتخطيط للقلب، ثم بدأوا بعلاجي.

كان والدي في ذلك الوقت موجودًا في تلك المدينة، فلما علم أني في المستشفى جاء ليزورني، وقد رأيته وقف فوق رأسي، فلما شم رائحتي ضاق صدره، فخرج و لم يتكلم.

أمضيت ليلة تحت العلاج، وقبل خروجي نصحني الطبيب بالابتعاد عن المخدرات، وأخبرني بأن حالتي سيئة جدًا.

وخرجت من المستشفى، وأحسست بأني قد منحت حياة أخرى جديدة، وأراد الله بي خيرًا، فكنت فيما بعد كلما شممت رائحة الحشيش أصابني مثل ما أصابني في تلك الليلة وتذكرت الموت، فأطفئ السيجارة، وكنت كلما نمت بالليل أشعر بأن أحدًا يوقظني ويقول لي: قم، فأستيقظ وأنا أنتفض من الخوف، فأتذكر الموت والجنة والنار والقبر، كما كنت أتذكر صاحبين لي من رفقاء

السوء لقيا حتفهما قبل وقت قصير، فأخاف أن يكون مصيري كمصيرهم، فكنت أقوم آخر الليل فأصلي ركعتين، و لم أكن أعرف صلاة الوتر في ذلك الحين، ثم بدأت أحافظ على الصلوات المفروضة، وكنت كلما شممت رائحة الحشيش أو الدخان أتذكر الموت فأتركهما.

وبقيت على هذه الحال أربعة أشهر أو أكثر، حتى قيض الله لي أحد الشباب الصالحين فالتقطني من بين أولئك الأشرار، وأخذني معه إلى مكة المكرمة لأداء العمرة، وبعدها ولله الحمد تبت إلى الله وعدت إليه. ونصيحتي للشباب المسلم أن يحذروا كل الحذر من شياطين الإنس، ورفقاء السوء، الذين كانوا سببًا في شقائي وتعاستي سنوات طويلة، ولولا رأفة الله ورحمته حيث أنقذني من بين أيديهم لكنت من الخاسرين.

واسأل الله أن يتوب عليَّ، وعلى جميع المذنبين والعاصين إنه تواب رحيم[١].

فهذه نتيجة لمصاحبة الأشرار، فمصاحبتهم هدم للأخلاق والقيم، والانحراف إلى الضلال والشر والفساد.

فرفقاء السوء مُنسون لذكر الله، ومشجعون على الكسل، خبيثو النفس، كثيرو الحسد، حريصون على الدنيا وزخرفها.

فصحبتهم ليست لله، وإنما لغاية معينة إذا انتهت انتهت الصحبة. قال بعض السلف: يخونون من رافقهم، ويفسدون من

---

(١) هذه القصة موجودة في كتاب(العائدون إلى الله) لمحمد المسند.

صادقهم، فداؤهم أعدى من الجرب، البعد عنهم من استكمال الدين، والمرء يعرف بقرينه". وصدق من قال:

وإذا أردت تـــــرى فضـــــيلة صـــــاحب
فـــانظر بعـــين البحـــث عـــن رفقائـــه

فـــــالمرء يطـــــوى علـــــى علاتـــــه
طـــــي الكتـــــاب وصـــــحبه عنوانـــــه

فصاحب السوء دائمًا ضار لصاحبه، ولا يأتي له بخير في يوم من الأيام، بل يأتيه بكل ما فيه ضرر عليه وعلى دينه.

فصور ماجنة، وأشرطة شيطانية، وألفاظ سيئة، فهل هذا يأتي بخير لنفسه أو لمن صاحب؟! يا لها من خسارة، فعلينا محاربته ومقاطعته، لننجو بأنفسنا من هذا الداء الخطير.

الخاتمة

وفي الختام أدعو الله أن يجعلنا من المتحابين في جلاله، المستظلين بظله يوم لا ظل إلا ظله، وأن يجعلنا خير الأصحاب، وأن يؤلف بين قلوبنا بالتقوى.

واحرص أخا الإيمان أن تحب لله، وتكون صداقتك خير صداقة لصديقك؛ معاونًا له وناصرًا له، آمره بالمعروف ناهيه عن المنكر.فإن فعلت هذا ظفرت بالأصحاب الصالحين، وفزت برضى الرحمن في الدنيا والآخرة.

اللهم اجعلنا هداة مهتدين، لا ضالين ولا مضلين، واجعل عملنا خالصًا لوجهك الكريم، وصلي الله وسلم على سيدنا وقدوتنا محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه ومن سار على منهجه واقتفى أثره إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين.

الفهرس